المحاضرة الخامسة

عوامل اكتساب اللغة

تمهيد

يعدّ اكتساب اللغة من أكثر الجوانب االتي تدعو إلى التعجب في النماء البشري. إذ يكتسب الأطفال معرفة اللغة أو اللغات من حولهم في وقت وجيز نسبيا، وبقليل من الجهد الظاهر. وما كان لذلك أن يكون ممكنا من دون عنصرين أساسيين: التهيؤ ذو الأحيائي لاكتساب اللغة، ومزاولة اللغة في المحيط. حيث يمر الأطفال جميعهم ، منذ المهد حتى الطفولة المتوسطة، بمراحل متماثلة للنمو اللغوي

أ- مفهوم الاكتساب اللغوي

يقصد باكتساب اللّغة: " تلك العملية غَير الشعورية وغَير المقصودة التي يتم بها تعلم اللغة الأم"، ذلك أ ن الطفل يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية وهو غَير واع بذلك، ودون أن يكو هناك تعليم مخطّط له، وهذا ما يحدث للأطفال وهم يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروسا منظمة في قواعد اللغة وطرق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم، مستعينين بتلك القدرة التي زودهم هبا الله تعالى، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة فَترة قصَيرة وبمستوى رفيع" ( ). فالاكتساب إذن عملية يحدث في شكل ناتج غير قصدي inconsciament وهو تلقائي spontané ويؤدي إلى الطالاقة في التحدث وهو ناتج عن الاستخدام الطبيعي للغة "

2 -الستعداد العرفاني المسبق للغة:

لقد أشرنا سابقا إلى أن اكتساب اللغة أمر مركزي في إثبات الطبيعة العرفانية البيولوجية للغة. إذ إن اكتساب اللغة عملية نماء طبيعية. فكل الأطفال يتقدمون عبر محطات متشابهة تبعا لجدول زمني متماثل، وما كان لذلك أن يكون على هذا النحو لو لم تكن اللغة متجذرة في الخلق البشري. فإن كانت اللغة خاصية بشرية ذات أساس جيني، يقوم الدماغ بتمثيلها ومعالجتها، فإنه سيترتب عن ذلك أن المولود البشري سيكتسب ذلك النظام بينما ينمو دماغه، وهذا يسمى النموذج الفطري في اكتساب اللغة.

ومن المهم أن نكون على بينة من ضبط معنى التصور الفطري لاكتساب اللغة. فليست الدعوى أن البشر يكتسبون اللغة دون ممارسة - بل الأمر على العكس. فالأنظمة ذات الأساس العرفاني لدى البشر، تتطلب في الحقيقة دخلا من المحيط لتحقيق النماء أو استثارته. إنّ الدخل الخارجي مهم - بل لا غنى عنه - في اكتساب اللغة. فالمواليد الذين يولدون صما، لا يستطيعون بسبب ذلك خوض تجربة الكلام، لا يمكنهم اكتساب اللغة المنطوقة، فهم يفتقدون إلى المثير الكافي من المحيط. ولكن المواليد الصم يمكنهم أن يكتسبوا لغة الإشارة بالسهولة نفسها التي يكتسب بها المواليد السامعون اللغة المنطوقة، إن كانت لغة الإشارة حاضرة في محيطهم. فالدعوى الفطرية هي أن الدماغ يزود المولود بذلك **التهيؤ** لاكتساب اللغة، ولكن اكتساب اللغة لا يحدث في فراغ. إذ لا بد أن يتعرض الطفل **لدخل خارجي** كي يبني ومعجما ونحوا، فهما جميع الخصائص المرتبطة باللغة البشرية.

وربما تكون المسألة المتعلقة بما يوفره الجانب الاحيائي(البيولوجي) البشري للطفل مقابل ما يستمده من المحيط هي بالتحديد المسألة المركزية في أبحاث اكتساب اللغة حيث يؤيد معظم اللسانيين النفسيين صورة من صور الرؤية الفطرية في اكتساب اللغة، ومن ناحية الدور الذي تؤديه **الممارسة** في الاكتساب فيذهب كثير من اللسانيين النفسيين إلى أن اللغة تكتسب في هدي **النحو الكلي** وهو معرفة **جِبِلّية** للغة، تؤدي إلى **تقييد طراز النحو** الذي يمكن للطفل أن يقوم بإنمائه وتقوم **استراتيجيات الاكتساب** إضافة إلى ذلك بمساعدة الطفل على فرض بنية معينة على الدخل اللغوي.

فالنحو الكلي هو الذي يفترض ما بين لغات العالم من تشابهات ملحوظة، **والنحو الكلي واستراتيجيات اكتساب** اللغة كلاهما مستمد من بنية الدماغ وخصائصه الاشتغالية.

وبالطبع فإن **جهاز اكتساب اللغة**، ليس الطفل، **بل خاصية في دماغ الطفل** تجعله مهيا لاكتساب اللغة. إذ يقوم الطفل، الذي يتعرض للغة عبر المحيط، بمعالجة الدخل مستخدمًا ما حبي به من الناحية الخلقية من أنظمة لاكتساب اللغة، وهي (النحو الكلي

واستراتيجيات الاكتساب)، فتكون الحصيلة النهائية معجما ونحوا. **والوسيط المستخدم في الدخل ليس مهما**: فستحدث عمليات المعالجة الداخلية نفسها، سواء كانت الإشارة متكونة من الكلام أو الإيماءات واللغة المعينة للدخل ليست مهمة أيضا، طالما كانت لغة بشرية: فالعربية، والإنكليزية، أو الإسبانية، أو الصينية، أو أي لغة أخرى يمكن اكتسابها من أي طفل، وإن كان المحيط يوفر تعرضا مستمرا لأكثر من لغة واحدة، فسيتم نمو أكثر من نحو وأكثر من معجم .وفق سلسلة المراحل المدروسة سابقا.

وحينما يبدأ الطفل الدراسة أي في سن الخامسة أو السادسة تقريبا(تكون معظم الجوانب الأساسية للمفردات المعجمية والنحو (قد أخذت موضعها. وأما حجم المعجم، وكذلك قدرات المعالجة، والمهارات الميتالغوية فإنها تستمر في التوسع إلى ما بعد الطفولة. وغالبا ما يتم عزو السهولة والسرعة اللتين يكتسب بهما الطفل اللغة إلى وجود **النحو الكلي، وهو الشكل العام للغة البشرية، وجزء من التركيب الجيني للطفل**، ولنتذكر أن اللغات كلها متشابهة من ناحية تنظيم الأنحاء الخاصة بها في مكونات صواتية، وصرفية وتركيبية.

ويقدم النحو الكلي لكل واحد من هذه المكونات مجموعة من المبادئ، تشكل جزءا من أنحاء(جمع نحو) اللغات البشرية كلها، ومجموعة من الضوابط، تمثل طرقا يمكن أن تختلف فيها اللغات. أي أن النحو الكلي يوجه النماء اللغوي بثلاث طرق

-**أولاها** أن الطفل سيقوم بإنماء نحوٍ يتكون من مكونات صواتية وصرفية وتركيبية.

-**ثانيتها** أن هذه المكونات ستشتمل على المبادئ الأساسية للغات كلها

- **ثالثتها** أن الضوابط التي يحددها النحو الكلي ستوجه اكتشاف الطفل لما يوجد في اللغة الهدف من خصائص معينة،

فلا يتعين على الطفل أن يكتشف هذه الخواص التنظيمية للغة من خلال الممارسة، بل يزوده بها دماغه النامي. وبالمثل، فإن المبادئ الكلية للتنظيم المعجمي ستوجه الحصيلة الذهنية من الكلمات أثناء نمائها، فتُفرَز الكلمات الجديدة إلى فصيلتي كلمات المحتوى والكلمات الوظيفية، وتربط كل كلمة بما يخصها من معلومات صواتية، وصرف تركيبية، ودلالية.

ولقد بين البحث العلمي انخراط النحو الكلي في اكتساب اللغة، إذ إن نماء المكونات الصواتية والصرفية، والتركيبية قد درس على نطاق واسع. فما ينمو لدى الأطفال من أنحاء لا يخرق أبدا المبادئ الكلية للغة فلا يمكن على سبيل المثال، أن تحتوي لغة الطفل على قواعد ليست معتمدة على البنية. ولا تسمح لغة الطفل كذلك ببناء جمل تخرق القيود الكلية على النقل من قبيل cream and what did john eat ice • (ماذا أكل زيد مثلجات و ؟) ويمكننا أن نلاحظ أيضا أن الأطفال يقومون بتوجيه ضوابط لغتهم في وقت مبكر جدا. فاللغات، على سبيل المثال، تختلف من ناحية ترتيب عناصرها النحوية وهو ما يشار إليه، باصطلاح غير تقني بالرتبة في الكلمات.

فاللغات جميعا تحتوي على أفعال وفواعل ومفاعيل، ولكن اللغات المختلفة لها طرق مختلفة فيما يخص الترتيب المفضل لهذه المكونات. علما أن رتبة الكلمات النظامية في الإنكليزية هي فا-ف- مف (فاعل - فعل مفعول)، وأما في العربيةف-فا-مف وفي اليابانية فهي فا - مفف (فاعل - مفعول - فعل). ولكن توجد لغات أخرى لها رتب نظامية مغايرة، وضابط رتبة الكلمات من بين الضوابط التي يقوم الأطفال المكتسبون للغات بتوجيهها في وقت مبكر جدا، بل إنه من المتيقن تقريبا أن الأطفال يقومون باكتساب رتبة الكلمات في لغتهم قبل أن يكونوا قد بدأوا يستعملون الجمل ذات الكلمتين.

ومن الأجزاء الأخرى للمنحة الأحيائية لدى الطفل مجموعة من استراتيجيات الاكتساب تمكن الطفل من تلقف الدخل الوارد من المحيط لبناء نحو يتوافق مع المبادئ التنظيمية للنحو الكلي وتقوم هذه **الاستراتيجيات**، أو "**مبادئ الاشتغال**" بتحديد الجوانب اللغوية التي ستكون أكثر بروزًا وسهولة في الاكتساب.

فالأطفال، على سبيل المثال، مرهفون جدا تجاه ما يوجد في اللغة من اطراد بل إن من خصائص لغة الطفل المبكرة، وأنها تفرط في تعميم وجوه الاطراد في اللغة، والأطفال يتوقعون من الأدوات اللغوية أن تكون ذات معنى، ويتطلعون إلى المسالك اللغوية التي تنقل

الأفكار الجديدة لأنظمتهم العرفانية النامية فيبتدر الأطفال التنوعات الصرفية التي تغير أشكال الكلمات بصورة منتظمة، مما يجعل السوابق واللواحق والدواخل تكتسب بسهولة، وتكون نهايات الكلمات بارزة، مثلما أن الترتيب بجميع أنواعه كذلك، ويتوقع الأطفال من الكلمات الجديدة أن تتواءم تواؤما منتظما مع ما هو موجود لديهم من مقولات صرفية وصواتية.

ويمكننا أن نلخص هذا الأفكار بالإشارة إلى أن الأطفال يقاربون مهمة اكتساب اللغة بعتاد مهيأ مصقول يجعلهم متعلمين منحازين للغاية. وكما قال **"راي جاكندوف"**، يمتلك الأطفال تصورات مسبقة عن اكتساب اللغة تؤدي في النهاية إلى منحهم الحلول الصحيحة. ولأنهم مجهزين هذا التجهيز، يمكنهم أن يتلقفوا الدخل من المحيط ليقوموا باكتساب اللغة أو اللغات من حولهم بسرعة وكفاءة.

خصائص اللغة في المحيط

إن الغاية الأساس لمحيط الطفل اللغوي هي توفير المعلومات الخاصة باللغة التي يكتسبها الطفل. ويسمي اللسانيون النفسيون هذا النوع من المعلومات **"الشاهد الموجب"**. إذ إنه يوفر البيانات التي يحتاجها الطفل لكي يوجه الضوابط، ويقوم بإنماء نحو شبيه بنحو الكبار. ومن الواضح أن الموفرين الرئيسيين للدخل هم الناس الذين يتفاعل معهم الطفل: أي الوالدان، والحاضنون، والأشقاء، وأي أشخاص آخرين، صغارا أم كبارا، الذين ينخرطون في تفاعلات لغوية روتينية مع الطفل. بمراعاة الخصائص العامة لكلام المربين. حيث يجب التأكيد على أن الأطفال بحاجة إلى أن يتحدث إليهم: فالتعرض للدخل يزود الأطفال **بالشاهد الموجب** عن الكيفية التي تعمل بها اللغة. ولكن إلى أي حد يكون الأطفال بحاجة إلى أن يتحدث إليهم بطرق ذات سمات خاصة؟

ثمة معطيات مهمة عن اكتساب اللغة تجعل دور اللغة في المحيط دورا محدودا جدا في -نظرنا- فكل طفل في كل ثقافة معروفة يكتسب اللغة بالسهولة ذاتها، عبر اجتيازه لمراحل متشابهة بنفس المعدل تقريبا. وهذا يدل ضمنا أن ما يعد ضروريًا لنمو اللغة من خصائص الدخل في المحيط لا بد أن يكون موجوداً لدى كل جماعة لغوية في العالم، **[ممارسات ثقافية معينة لدى بعض الجماعات في الشمال الغربي من البرازيل تؤدي إلى تعدد لغوي معقد]**

إنه من الواضح أنه لا الآباء ولا الحاضنون الآخرون بحاجة إلى تعليم اللغة لأطفالهم. فالأطفال في أنحاء العالم يكتسبون اللغة في أوضاع ثقافية واجتماعية مختلفة اختلافا كبيرا، فتحقيق الكم الناجح للغة يتم سواء بالمربن وغير المربين.

وخلاصة، فإننا نؤكد على نقطتين مهمتين حول دور الدخل في اكتساب اللغة. -أولاهما أن الدخل التفاعلي ضروري فبعض الأطفال مثلا غير قادرين على اكتساب الإنكليزية المنطوقة من خلال التعرض للغة عبر التلفاز فقط، على الرغم من أن فئة منهم قد تعلم قليلا من الكلمات . وقد تم تأكيد هذه الملاحظة تجريبيا في دراسة على أطفال أميركيين يبلغون من العمر 9 أشهر عرضوا للغة أجنبية، وهي المانداريين الصينية. فالأطفال الذين تم تعريضهم في تلك الدراسة لمتحدث مباشر (كان أداؤهم أفضل بكثير من أداء الأطفال الذين تم تعريضهم النفس المتحدث عبر تسجيل مسبق إما عبر جهاز التلفاز أو عرضا صوتيا فحسب حينما تم اختبار إدراك المجموعتين للأصوات الخاصة بالمانداريين. فمن الواضح أن الخبرة التفاعلية مع اللغة تحسن الاكتساب

-والنقطة الثانية هي أن الخبرة التفاعلية هي كل ما هو مطلوب فالأطفال الذين لم يتعلموا اللغة الأجنبية عبر التلفاز لم يتلقوا تعليما خاصا، ولا مكافأة، ولا تصحيحا، ولم يتم ذلك أيضًا بالنسبة إلى الأطفال الذين تعرضوا إلى لغة المانداريين في الدراسة من زملاء آخرين لهم